

مقدمة:

تعتبر نظرية التحليل النفسي من أولى النظريات العلمية المفسرة لتوظيف الفرد، حيث تخلت عن المفاهيم الأولية التي كانت تربط الاضطرابات النفسية بأسباب ميتافيزيقية غير عقلانية، ولا يمكن التحكم فيها.

ولعلنا، حين نقول "تحليل نفسي"، لا يمكننا إلا أن نستحضر اسم "سيجموند فرويد" الذي طور أولى مفاهيم هذه النظرية؛ حيث انطلق من أفكار وتطبيقات من سبقوه وتتلذ على أيديهم، من أمثال "شاركو" Charcot، "جاني" Janet « و "بروير" Breuer « ممن سبقوا واهتموا بالشخصية على أنها مزيج من الرغبات والممنوعات والصراعات الداخلية.

منظور فرويد للتوظيف النفسي:

1. الجهاز النفسي

يعزي فرويد أهم ما يحدث من حركية في توظيف الأفراد إلى ما سماه بالجهاز النفسي، حيث أن الجهاز النفسي بالنسبة له عبارة عن بنية نفسية ليس لها مكان أو تموضع بيولوجي واضح.

وقد قدم لنا هذا الجهاز النفسي من خلال نظرتين أساسيتين تعبران عن تطور المفاهيم لديه:



أ. المنظور الأول: الموقعية الأولى:

جاء بها فرويد في كتابه "تفسير الأحلام" سنة 1900، حيث قدمها لنا في فصله السابع.

ومما حفز فرويد على تطوير هذا المنظور ملاحظته للهوامات التي تظهر عند حالات الهستيريا من ناحية، ومن ناحية أخرى لاحظ أن المجال الذي تحدث فيه الأحلام (في حالة النوم) يختلف عن المجال النفسي الذي نتعامل به في حالة اليقظة.

فمثلاً: في حالة النوم يمكننا أن نرى أشياء يستحيل علينا رؤيتها أو التفكير فيها في حالة اليقظة، كأن يتشاجر الفرد مع أحد والديه؛ ...
وعليه اقترح تقسيماً أولاً للجهاز النفسي يعبر عن هذه المناطق أو المجالات أو الساحات النفسية المختلفة. وكان كالاتي:

للشعور:



وهو أعمق منطقة في الجهاز النفسي، ويعتبر خزاناً للنزوات، الصراعات والذكريات بعيدة المدى من ناحية، وتلك التي يصعب على الفرد تحملها وتقبلها من ناحية أخرى.

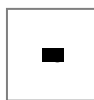
فمحتويات اللاشعور لا يمكنها الظهور للخارج إلا من خلال الأحلام (التي تعتبر الطريق الملكي نحو اللاشعور، حسب التحليليين)، أو إخفاق المكبوتات (échec des refoulés) والتي قد تتمثل في: زلات اللسان lapsus، الهفوات actes manqués، وإلى غاية الأعراض المرضية.

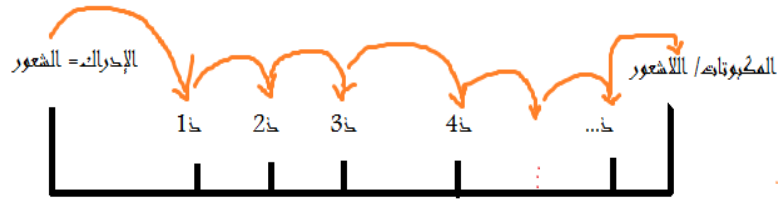
للم الشعور:

هو المجال الذي يساوي ويتمثل في الإدراك، حيث أنه الجزء من الجهاز النفسي الذي نتعامل به ونتعاش به في اللحظة نفسها، والشعور يتميز بعدم المحافظة على الذكريات.

للم ما قبل الشعور:

هو منطقة الجهاز النفسي التي تتواجد بين الشعور واللاشعور، وهي تضم ذكريات قريبة ومتوسطة المدى، والتي يمكن استرجاعها بنوع من السهولة؛ وتضم مجموعة تصورات، وهي أفكار وصور ذهنية ووجدانات.





ح = آثار الذائفة

مخطط يبين سيروية التداعي الحر للأفكار: من الشعور إلى الأشعور

ب. المنظور الثاني: الموقعية الثانية

في 1920، جاء فرويد بهذه الموقعية ليكل بها منظوره الأول عن الجهاز النفسي، وقدمها في مقاله "ما وراء مبدأ اللذة".

وقد جاءت هذه الموقعية لتشرح لنا الدينامية أو الحركية الداخلية التي تحدث داخل المناطق الثلاث المقدمة عام 1900.

فبالفعل، لفهم ما يحدث في الجهاز النفسي، لا يكفي أن نعرف إلى ماذا ينقسم، ولكنه لا بد علينا أن نعرف ما يحدث بداخله من دينامية وحركية.

فهذا المنظور الثاني يبعث إلى وظائف الجهاز النفسي.



فما جاء به فرويد في الفترتين مكملان لبعضهما، ولا يلغي أحدهما الآخر.

ووفقا لهذه الموقعية، قدم لنا ثلاث وظائف أساسية لهذا الجهاز النفسي:

للهم الله:

وهو عبارة عن مجموع الغرائز، النزوات والذكريات المتواجدة في خزان اللاشعور،
وتعبر غالبا عما هو محرم، ممنوع، أو غير مرغوب فيه؛ مما لا يستطيع مستوى
الشعور تقبله وتحمله، لأنها تتناقض مع متطلبات الواقع والقوانين المفروضة فيه.
هذه الغرائز والذكريات وحتى الوجدانات المرتبطة بها، هي التي تخضع لعملية
الكبت داخل اللاشعور.

للأنا الأعلى:

يعبر عن مجموع القوانين، الممنوعات والمحرمات التي تم اكتسابها في البداية من السلطة الخارجية، والتي يتم إدراكها واكتساب قواعدها منذ سن مبكرة، عبر الأسرة والبيئة الخارجية بصفة عامة.

هذه القوانين، ينبغي أن يتمكن الفرد من استدخالها وجعلها جزء من شخصيته (مما سيجعله يمر من الإحساس بالخجل عند خرق القوانين، إلى الشعور بالذنب).

يعتبر الأنا الأعلى من وظائف الجهاز النفسي الأكثر تطورا، والمتواجد عند التوظيفات الأكثر بناء.

ملاحظة: عندما يرتبط التعدي على القوانين بشعور بالخجل، فإن ذلك يرتبط بمفاهيم قيمة تجتمع في إطار ما يسمى "مثال الأنا"، والذي نجده في توظيفات هشة نسبيا، المتمثلة أساسا في الحالات البينية. في حين نجد الأنا الأعلى في التوظيفات الأكثر تطورا، المسماة بالعصاب.

قد يكون الأنا الأعلى صلباً وشديداً، ويمارس نوعاً من السلطة المبالغ فيها على الفرد، مما يعيقه عن ممارسة بعض الوظائف الحياتية التي قد تبدو بسيطة عند باقي الأفراد؛ وقد يكون مرناً يسمح للفرد بالتعبير عن ميوله ورغباته، مع احترام القواعد والقوانين المستدخلة، حيث يجد طرقاً تكيفية ملائمة لذلك.

مثلاً:

من العادي أن يهتم الفرد بنظافته البدنية، وحينما يصلي -مثلاً-، من الضروري أن يتوضأ، فهذا من القوانين والقواعد الخارجية المستدخلة (من خلال ما تعلمه الفرد في محيطه عن تعاليم دينه، ومما يساهم في تشكل الأنا الأعلى).

إلا أننا، في بعض الأحيان، نجد أنفسنا أمام حالات تبالغ مثلاً في الوضوء، وتكرر وتعيد وتشك، وتخاف دائماً ألا تكون قد قامت بمراحله كما ينبغي، وبذلك تخاف من عدم صحة صلاتها وعبادتها، مع ما يصاحب ذلك من شعور بالذنب.

هنا، نفهم غالباً أن الأنا الأعلى يتميز بنوع من **التشدد والصلابة**، والتي لا يعرف الفرد غالباً أصلها؛ ولذلك، نفهم أن القواعد المشكلة للأنا الأعلى تمتد، كما سنراه لاحقاً، من الشعور إلى اللاشعور.

للأنا:

يعتبر الأنا الوسيط الأساسي بين مختلف وظائف الجهاز النفسي، ويتمثل دوره في إيجاد حلول وسطى والتوفيق بين غرائز ومتطلبات الهو من ناحية، ومفروضات ومتطلبات الأنا الأعلى والواقع الخارجي من ناحية أخرى.

فالوجدانات والتصورات المكبوتة في اللاشعور تشكل ضغطا مستمرا، وتسعى للتعبير عن نفسها وتحقق نوعا من التفريغ.

وبما أنها غالبا ما تكون غير ملائمة للواقع الخارجي، فإن الأنا سيلعب دور الحارس الذي يعمل

على تصفية وانتقاء ما يمكن أن يتم التعبير عنه، وما ينبغي أن يبقى مكبوتا في اللاشعور.

سيعمل الأنا من خلال ما نسميه الآليات الدفاعية Mécanismes de défense، والتي يكون جزء كبير منها لا شعوريا أو ما قبل شعوريا.

